Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i2

الانسجام البنائي والترابط الموضوعي لآيات القرآن الكريم "دراسة في بيان المفهوم والأثر التفسيري"

حيدر مصطفى هجر
قسم علوم القرآن / كلية العلوم الإسلامية / جامعة ذي قار
haidar.mustafa.islqu@utq.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع الانسجام البنائي والترابط الموضوعي في القرآن الكريم، بوصفه أصلاً مهماً من أصول التفسير، ويهدف إلى بيان مفهومه، وصوره، وأدلته، وأثره في العملية التفسيرية، يُعرَّف الانسجام الداخلي للقرآن بأنه تماسك آياته وسوره في بناء موضوعي متكامل يحقق الهدف الأساس للهداية القرآنية. وللانسجام صور متعددة: التناسب بين الآيات والسور، والوحدة الموضوعية للسورة الواحدة، والوحدة الموضوعية للقرآن كله، أما الأدلة على هذا الانسجام فتستمد من القرآن نفسه ومن الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) التي تؤكد اتصال الكلام القرآني وترابطه، إضافة إلى الدليل العقلي القائم على ملازمة الانسجام للإعجاز النظمي، والاستناد إلى توقيفية ترتيب الآيات، ويُظهر البحث أن تعدد الموضوعات في السورة الواحدة لا ينفي انسجامها، بل هو مظهر من مظاهر الإعجاز، يجمع بين تنوع الطرح ووحدة الغاية. وقد تجلت آثار هذا الأصل التفسيري في: الكشف عن مقاصد القرآن، والترجيح بين الأقوال التفسيرية، وحل الإشكالات، وتأكيد إعجاز النظم القرآني، وبيان الرؤية المتكاملة للموضوعات القرآنية

الكلمات المفتاحية : الانسجام البنائي، الترابط الموضوعي، تفسير القرآن، سبك اللغة

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i2

Structural and Thematic Coherence of the Verses of the Holy Qur'an "A Study in Explanation and Interpretive Impact"

Haidar Mustafa Hajr
Department of Quranic Sciences / College of Islamic Sciences / University of Dhi Qar
haidar.mustafa.islqu@utq.edu.iq

Abstract

This research examines the structural coherence and thematic interconnection in the Holy Quran as a fundamental principle of interpretation. It aims to clarify its concept, forms, evidence, and impact on the interpretive process .Internal Quranic coherence is defined as the integration of its verses and chapters into a cohesive thematic structure that achieves the Quran's primary goal of guidance. This coherence manifests in multiple forms: proportionality between verses and chapters , the thematic unity of a single chapter, and the overall thematic unity of the entire Quran .Evidence for this coherence is drawn from the Quran itself (e.g., the verse "Do they not then reflect on the Quran?"), narrations from the Ahl al-Bayt (peace be upon them) affirming the interconnected nature of the Quranic discourse, rational arguments linking coherence to the inimitability of its composition, and the established premise that the arrangement of verses is divinely ordained .The research demonstrates that the multiplicity of topics within a single chapter does not negate its coherence; rather, it represents an aspect of its miraculous nature, combining diversity of presentation with unity of purpose. The interpretive implications of this principle are evident in: revealing the aims of the Quran, preferring certain interpretive opinions over others, resolving interpretive problems, confirming the inimitability of the Quran's composition, and presenting a comprehensive vision of Quranic themes.

Keywords: Structural harmony, thematic coherence, Qur'anic interpretation, linguistic composition

المقدمة

يُعدّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة، وكتاب الله الذي أُنزل لهداية الناس، وتحدّى البشـرية ببلاغته ونظمه ومضـامينه. ومن أبرز سماته التي تجلّت فيها عظمة نظمه وإعجازه، ما اتسم به من انسجام بنائي وترابط موضوعي بين آياته وسوره، على الرغم من تعدد موضـوعاته وتنوع أسـاليبه وتدرّج نزوله. فالقرآن الكريم وإن تعددت موضـوعاته في السـورة الواحدة، وفي الآية الواحدة، إلا أنه تميز بالتناسب والانسجام بين آياته ووحداته الموضوعية، وهذا الانسجام ليس مجرد ظاهرة بلاغية، بل هو أصلٌ مهم من أصـــول الفهم التفسـيري، وقرينة داخلية ذات أثر بالغ في الكشـــف عن مراد الله تعالى، وفي الترجيح بين الأقوال التفســـيرية المختلفة. وتبرز أهمية هذا البحث في كونه يعالج إشـكالية تعدد الموضـوعات في السـورة الواحدة، وما أُثير حولها من دعاوى التشـتت أو عدم الترابط، مبيناً أن ذلك التعدد لا ينافي وحدة البناء، بل يكشـف عن نظامٍ دقيق ينسـجم مع طبيعة القرآن بوصـفه كتاب هداية شـامل. وقد تبيّن عند البحث وجود راسـات تناولت التناسـب والترابط ومنها: *التناسـب ودوره في الإعجاز القرآني*، إقبال وافي نجم.. النجف الأشرف: كلية الفقه، جامعة الكوفة. (1430هـــ - 2009م). *البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسـيرية* (الإصـدار 1). إقبال وافي نجم. كربلاء المقدسـة: الأمانة العامة للعتبة الحسـينية المقدسـة،.(1436هـــ - 2015م). *فالدراسـات أعلاه كشـفت عن مسـتوى من مسـتويات الترابط والتناسـب وأثر من* آثاره، ومن هنا جاء هذا البحث لبيان مفهوم الانسـجام البنائي، وصـوره، وأدلته، وإشكالياته، ثم استقصـاء آثاره في العملية التفسيرية. واقتضـت طبيعة البحث أن يُقسم على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التناسب والانسجام الداخلي لآيات القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأدلة على الانسجام والارتباط بين آيات القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التناسب والتناسق بين الآيات والسور، وإشكالية تعدد موضوعات السورة.

المطلب الرابع: الأثر التفسيري للانسجام والترابط الداخلي لآيات القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم التناسب والانسجام الداخلي لآيات القرآن الكريم:

يُقصد بالانسـجام الداخلي لآيات القرآن الكريم، أنّ آيات القرآن الكريم تُشكل أجزاء موضـوعية متماسكة في سبيل تحقيق الهدف الأساس للقرآن الكريم، فهو أعم من البحث في علل ترتيب الآيات والسور وأجزاء القرآن الكريم، فقد عرّف القاضـي أبو بكر بن العربي (ت:543هـ) علم المناسبة القرآنية بأنه: " ارتباط آي القرآن بعضـها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني" (الزركشي أ.، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، صفحة 36/1)، ووصف الزركشي (ت794هـ هذا العلم بقوله: " واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول" (الزركشـي ب.، 1957م، صـفحة 35/1)، وعرّفه البقاعي (ت885هـــ): بأنه" علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سـر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لمقتضـى الحال ... فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسـة، وكانت نسـبته من علم التفسـير نسـبة علم البيان من النحو" (البقاعي أ.، ١٩٦٩، صفحة 6/1).

وتُعدّ المناسـبة القرآنية إحدى صـور الانسـجام والارتباط بين آيات القرآن الكريم، وهناك عدة صـور للانسـجام البنائي والترابط الموضوعي بين آيات القرآن الكريم وسوره، ومن أهم تلك الصور:

أولاً: الانسجام بين الآيات والسور:

من صور الانسجام القرآني البحث في ترابط موضوعات السورة بالنظر لعلل ترتيب آياتها، لوجود انسجام في مضامين الآيات المتتابعة، وهذه الصورة هي التي تُبحث في علم مناسبات القرآن الكريم (الزركشي ب.، 1957م، صفحة 36/1).

ولم يقتصر علم المناسبة عند كثير من العلماء على هذا الحد بل بحث في ارتباط صدر السورة (الاستهلال) بخاتمتها، والتناسب بين السورة والسور التي تسبقها وتلحقها حسب ترتيب المصحف الذي بين أيدينا على فرض توقيفية ترتيب السور القرآنية.

وذهب سعيد حوى في كتابه (الأساس في التفسير) إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ يرى أن جميع مضامين القرآن الكريم جُمعت في سورة البقرة، وما جاء في بقية السور ما هو إلا شرح وإيضاح لما ورد في سورة البقرة (حوّى، 1424 هـ، الصفحات 21/1-23)، ويعدّ سورة الفاتحة بمثابة المقدمة للقرآن الكريم (حوّى، 1424 هـ، صفحة 50/1).

ومن رائدي هذا الأسلوب التفسيري: أبو جعفر الغرناطي (ت: 708هـ) في كتابه (تناسب الآيات والسور)، والبقاعي (ت:885هـ) في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، والسيوطي (ت:911هـ) في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور)، ومن المعاصرين الشيخ عبد الله الغماري في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)

وقد أفاد كثير من المفسرين من التناسب بين الآيات والسور في الكشف عن معاني القرآن الكريم، ويُعد في مقدمتهم الشيخ الطوسي(ت:460هـ) (جعفر، 1420هـ ق - 1378هـ ش، الصفحات 141-145)، والشيخ الطبرسي (ت:548هـ) (العامري، 1439هـ - 2018م، الصفحات 259-262).

ومن الشواهد على سبيل المثال لا الحصر: ما ذكره الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: (**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ**) **(سورة يونس:9).**

قال: " لما ذكر الله تعالى الكفار وما يستحقونه من المصير إلى النار في الآيات الأولى ذكر في هذه (**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**) يعني صدقوا بالله ورسوله، واعترفوا بهما، وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحات، (**يَهۡدِيهِمۡ**) الله تعالى جزاءً بإيمانهم إلى الجنة (**تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ**) يعني البساتين التي تجري تحت أشجارها الأنهار التي فيها النعيم" (الطوسي أ.، 1409هـ، صفحة 345/5)

وما ذكره الطبرسي مفتتح كل سورة محاولاً إيجاد ربط مفتتح السورة وخاتمة السورة السابقة، فمثلاً في مفتتح تفسير سورة آل عمران، قال: " إن الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والإيمان، افتتح هذه السورة بالتوحيد والإيمان أيضا" (الطبرسي، 1415هـ، صفحة 235/2).

ويُعدّ العلامة الطباطبائي من المفسرين الذين لهم عناية بالغة بالتناسب والتناسق بين الآيات في السورة الواحدة، لأن وحدة السياق التي اعتمدها كثيراً لا تتم ما لم يكن هناك ترابط بين الآيات (البيضاء، 1435هـ - 2014م، الصفحات 210-211)، وأوضح عنايته بالترابط في كثير من المناسبات، فمثلاً تفسيره للحروف المقطعة من خلال إيجاد علاقة وترابط بين الحروف المقطعة التي ابتدأت بها السورة ومضامين تلك السورة، بل إنه يرى أن بعض السور القرآنية ذات الحروف المقطعة المتشابهة تكون متشابهة في مضامينها، إذ يقول: "... ثمّ إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور ... ويؤيد ذلك ما نجد أنّ سورة الأعراف المصدرة بـ (المص) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات وص، وكذا سورة الرعد المصدرة بـ(المر) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات والراءات" (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الصفحات 9/8-18).

ومن الشواهد على تناسب آيات القرآن الكريم فيما بينها داخل السورة الواحدة، ما ذكره العلماء في علاقة البسملة بالسورة، فهم يرون أن لها في كل سورة غرضاً يتناسب مع مضامين السورة، فمثلا في سورة الفاتحة أفادت الحمد والثناء ومقام العبودية لمالك يوم الجزاء، وفي غيرها تُفيد مضمون السورة وآياتها.

ويمكن للبحث أن يُسجل إشكاليتين على هذا الأسلوب من التفسير:

الأولى: الاختلاف في توقيفية السور القرآنية، فبعض المفسرين يرون أنه اجتهاد من الصحابة (نجم، التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، 1430هـ - 2009م، الصفحات 49-51)، فعلى فرض عدم توقيفية ترتيب السور لا يكون للمناسبة بين السور القرآنية أثر كما لو كان الترتيب توقيفياً.

الثانية: تعدد موضوعات القرآن الكريم في السورة الواحدة بل أحياناً في الآية الواحدة، وكما جاء في الرواية عن الإمام الباقر(عليه السلام): " إن الآية ينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء" (البحراني، صفحة 5/1)، لأنّ القرآن الكريم ليس كتاباً تخصصياً في مجال معين، بل هو كتاب هداية، الأمر الذي أدى للتكلف في إيجاد المناسبة بين الآيات

المتتابعة، لعدم إمكانية المفسر الربط بين الآيات، وهذا ما أشار إليه الشوكاني بقوله: "إعلم أنّ كثيرًا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ... وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرّأ منها الإنصاف" (الشوكاني، 1414 هـ، صفحة 72/1).

فعليه يمكن الإفادة من ترتيب الآيات في التفسير، فهو أمر يُكاد يكون محل اتفاق بين المفسرين، بشرط أن يكون الارتباط واقعياً دون أي تكلف، مستندين على أُسس لفظية ومعنوية وفنية صحيحة.

ثانياً: الوحدة الموضوعية والترابط بين آيات السورة:

تحتوي كل سورة قرآنية على موضوع أو مجموعة موضوعات، وجميعها ترتبط بالغرض الأساس للسورة، فتُشكل السورة على أساس ذلك موضوعات مترابطة فيما بينها، وكل موضوع متكون من آية أو مجموعة من الآيات تُشكل بمجموعها وحدة قرآنية خاصة بمحور معين داخل السورة، وجميع هذه الأجزاء الموضوعية مترابطة فيما بينها برابط أساس يربطها جميعاً، يُشكل هذا الرابط المحور والموضوع الأساس الذي تدور عليه جميع موضوعات السورة (قطب، 1412 هـ، صفحة 28/1)، " من خلال محاولة رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيداً لآخرها وآخرها تصديقاً لأولها" (الغزالي، 1420هـ - 2000م، الصفحات 5-6).

ويسمى هذا الأسلوب التفسيري بالتفسير الترابطي أو التفسير البنائي، وكلاهما يبحث الوحدة العضوية والموضوعية للسورة من خلال الكشف عن الروابط بين موضوعات السورة وآياتها.

وممّن ذهب لهذا الأسلوب التفسيري: عبد الحميد الفراهي في كتابه (دلائل النظام)، ومحمد دراز في كتابه (النبأ العظيم)، ومحمد باقر حجتي وعبد الكريم الشيرازي في تفسيرهما (الكاشف) (معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، 1426هـ - 1384ش، صفحة 1032/2)، والسيد محمد تقي المدرسي في كتابه (مقاصد السور في القرآن الكريم)، ويُعدّ التفسير البنائي للدكتور محمود البستاني من أهم تفاسير الإمامية التي سارت على هذا الأسلوب.

ترتكز دراسة الدكتور البستاني على نظام البناء في موضوعات السورة والتي بدورها ترتبط ببناء أوسع دائرة منه، وهكذا لترتبط جميعها بالعمود الأساس الذي يُعدّ المحور والرابط لجميع موضوعات تلك السورة، وقد يكون الموضوع واحد والفكرة واحدة في السورة، وقد يتعدد أحدهما أو كلاهما.

وقد يتخذ البناء الموضوعي للسورة شكلاً أفقياً، بمعنى أن تبدأ السورة بموضوع وتختم بالموضوع ذاته يتخللها موضوعات ذات أغراض متعددة، وقد يكون البناء بشكل عمودي، بمعنى أن تبدأ السورة بموضوع وتتدرج بعرضه حتى تختتم بالموضوع نفسه.

وقد يكون شكل البناء مقطعياً، بمعنى أن تعرض السورة جملة موضوعات مع وجود فاصل بآية أو أكثر بين موضوع وآخر (هجر، 1436هـ - 2015م، صفحة 113).

فمثلاً في تفسير سورة الكهف يرى أنها تُقسم على محاور قصصية رئيسية، فجعل قصة أصحاب الكهف محوراً، وقصة صاحب الجنتين محوراً، وقصة ذي القرنين محوراً.

ويرى أن الفكرة الأساس التي تجمع هذه المحاور هي: (نبذ زينة الحياة الدنيا)، وفي المحاور المتقدمة مقابلة بين نبذ زينة الحياة الدنيا عند أصحاب الكهف وذي القرنين رغم امتلاكهما للجاه والمال والقوة، وفي مقابل ذلك يوجد نموذج سلبي على العكس منها وهو صاحب الجنتين الذي ركن للحياة الدنيا وزينتها، فهي مقابلة بين ثلاثة نماذج تربط بينها فكرة رئيسة وهي (زينة الحياة الدنيا وفتنتها) (البستاني، 2001، الصفحات 55/3-66).

وفي تفسير سورة لقمان بقوله: " الفكرة الرئيسية التي تحوم عليها سورة لقمان هي: مفهوم (الحكمة)، وهي ذات دلالات وأفكار تتواكب مع مفهوم الحكمة بطبيعة الحال" (البستاني، 2001، صفحة 429/3).

ويُشترط في قبول التفسير الارتباطي أو البنائي والتفسير بالتناسب الذي تقدم ذكره في الصورة الأولى شرطان أساسيان هما:

1. توقيفية ترتيب الآيات في السور القرآنية.
2. أن يكون الارتباط بين الآيات والموضـــوعات حقيقياً بلا تكلف وهذا الأمر يحتاج إلى تدبر وتفكر (الزركشـــي ب.، 1957م، صفحة 37/1).

ثالثاً: البحث في موضوعات القرآن الكريم:

تترابط موضوعات القرآن الكريم فيما بينها وإن تفرقت في سور متباعدة، لتُشكل وحدات موضوعية بغض النظر عن وجود الآيات التي تكوّن الوحدة الموضـوعية في السـورة نفسـها أو في سـور أخرى، لذا عُرّفت الموضـوعية في القرآن الكريم بأنها: " البحث عن القضـايا الخاصـة التي عرض لها القرآن الكريم في سـوره المختلفة ليُظهر ما فيها من معانٍ خاصـة تتعلق بالموضوع العام الذي نبحثه لتحقيق الهدف" (حجازي، 1970، صفحة 28).

ومن هنا أدرج بعض العلماء الوحدة الموضـوعية للقرآن الكريم ضـمن التفسـير الموضـوعي، ولم يدرجوا الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية ضمنه، لأن البحث عن الموضوع جزئي وليس في جميع سور القرآن.

وهذا الأسـلوب من التفسـير لا يواجه إشـكاليات في تطبيقه على جميع موضـوعات القرآن الكريم، بخلاف التفسـير بالتناسب أو الوحدة الموضوعية في السورة، لما فيهما من التكلف أحياناً.

كما أن التفسـير على وفق الوحدة الموضـوعية للقرآن الكريم يتجاوز إشـكالية توقيفية ترتيب الآيات والسـور، فيمكن تجاوزها والغوص أفقياً في القرآن الكريم للبحث عن الوحدات القرآنية المنسجمة مع بعضها، للكشف عن الرؤية القرآنية وتحديد مراد المولى سبحانه بصورةٍ أدق ممّا هي عليه لو فسرت مجزأةً.

وهذا الأمر دعا العلامة الطباطبائي للقول بضرورة الترتيب الأفقي للقرآن الكريم، للتخلص من إشكالية توقيفية ترتيب السور، إذ يقول: " ويمكننا القول بجرأة أن سكوت علي (عليه السلام) الذي كان مصحفه يخالف في الترتيب المصحف المنتشر، كان لأن ترتيب النزول لم يكن ذا أهمية في تفسـير القرآن بالقرآن الذي يهتم به أهل البيت (عليهم السـلام)، بل المهم فيه هو ملاحظة مجموع الآيات ومقارنة بعضها ببعض، لأن القرآن الذي هو الكتاب الدائم لكل الأزمان والعصور والأقوام والشعوب لا يمكن حصر مقاصده في خصوصية زمنية أو مكانية أو حوادث النزول وأشباهها" (الطباطبائي، القرآن في الإسلام، 1973، الصـفحات 137-138)، الأمر الذي انعكس على التفسـير بإعادة ترتيب الآيات وفق سـياقاتها (الطباطبائي، الميزان في تفسـير القرآن، صفحة 359/4)، كما أن ذلك يُسهم في معرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمكي والمدني.

ولا يقتصـر بحث الوحدة الموضـوعية في القرآن الكريم على ما تقدم، بل يمكن توسـعة الدائرة لتشـمل العلاقات بين الموضـوعات المختلفة نحو: علاقة الإيمان بالعمل أو الإيمان بالتقوى (الشـيرازي، نفحات القرآن، 1426هـــ، صـفحة 6/1)، وغيرها من الموضـــوعات المرتبطة ببعضـــها كالسـبب والنتيجة، أو اللازم والملزوم، والأثر والمؤثر، وغيرها من العلاقات التبادلية بين الموضـوعات، وهو ما يطلق عليه بالتفسـير الترابطي لعلاقة التلازم بين الثنائيات (نجم، البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية، 1436هـ - 2015م، الصفحات 124-125)

ومن الأمثلة على تفسير القرآن في ضوء الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم:

البحث عن جواب للســؤال: من يتوفي الأنفس عند الموت؟ فقد ذكرت بعض الآيات القرآنية أن الذي يتوفى الأنفس هو الله سبحانه، قال تعالى: **(ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الزمر:42).**

وهناك آيات قرآنية أشـارت إلى أن الذي يتوفى الأنفس الملائكة، قال تعالى: **(إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) (سـورة الأنعام:61)**، وقال تعالى: **(قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (سـورة السجدة:11)**.

فتفسـير كل آية بمعزل عن الآيات الأخرى يؤدي إلى تشـويش في الفهم إلى حد التناقض، وما يترتب عليه من فسـاد عقائدي، ولكن عند جمعها على صـعيد واحد يتبيّن أن الذي يتوفى الأنفس بالأصـالة الله سبحانه، وبالتبع الملائكة، فهم يفعلون ما يؤمرون (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، صفحة 269/17).

المطلب الثاني: الأدلة على الانسجام والارتباط بين آيات القرآن الكريم:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

استُدِلَّ على الانسجام والارتباط بين آيات القرآن الكريم بقوله تعالى: **(ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا) (سورة الزمر:23)**، **وقوله تعالى: (الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (سـورة هود:1)**، **وقوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا) (سورة النساء:82)**.

ووجه الاسـتدلال بهذه الآيات القرآنية بضـمّ أحداها لأخرى، فلازم كون القرآن متشـابهاً بمعنى متماثل في السـبك والصـياغة، ومعنى أحكمت آيته بمعنى اتقنت، كما أن عدم الاختلاف في آياته يستلزم وجود ارتباط وانسجام بين آياته، وإلا لما وصف بهذه الأوصاف.

وما يلحظ على هذا الاسـتدلال: التكلف بلزوم ما لا يلزم، فليس بالضـرورة أن تكون هذه الأوصـاف دليلاً على انسـجام وترابط آيات القرآن الكريم.

ثانياً: الأدلة من الروايات:

من الروايات التي وردت في هذا المجال ما روي عن الإمام الباقر (عليه السـلام): " إن الآية يكون أولها في شـئ وآخرها في شئ وهو كلام متصل متصرف على وجوه" (المجلسي، 1983م، صفحة 91/89).

فهذه الرواية تبيّن أن القرآن الكريم وإن تعددت موضـوعاته في الآية الواحدة إلا أن هناك رابطاً يربط تلك الموضـوعات وهو ما عبر عنه بقوله (عليه السلام) "كلام متصل متصرف على وجوه".

ومن الروايات التي يُفاد منها الاسـتدلال على الانسـجام والترابط بين الآيات بصـورة غير مباشـرة، ما روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: **(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ)** (سورة يوسف: 100)، قال (عليه السلام): " أما سـجود يعقوب وولده ليوسـف فشـكراً لله، لاجتماع شـملهم ألا ترى انه يقول في شـكر ذلك الوقت: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) " (العياشي، صفحة 197/2).

ومن الشـواهد التي تصـلح للاسـتدلال على إثبات الترابط والانسـجام ما ذُكر في تفسـير القرآن بالقرآن في روايات المعصـومين (عليهم السـلام)، فالمعصـوم (عليه السـلام) في تفسـير كثير من الآيات يكشـف عن المراد الإلهي من خلال ربط الآية بالأخرى، وبذلك تتشكل وحدة موضوعية بين الآيات تتجاوز توقيفية الترتيب وإشكاليتها في تحقيق الانسجام والتناسب بين الآيات والسور.

وأستُدِلَّ بتوقيفية ترتيب الآيات في السورة الواحدة على الترابط والانسجام بين الآيات في السورة، وهو مشهور رأي المفسرين من الإمامية والجمهور (الغرناطي، 1410 هـ - 1990م، صفحة 182) و (الزركشي ب.، 1957م، صفحة 37/1) و (معرفة، التمهيد في علوم القرآن، 2009م، صفحة 212/1)، وهناك من المفسرين من لا يرى دليلاً عليه (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، صفحة 131/12).

وعلى هذا الأساس يكون الترابط والانسجام والتناسب بين الآيات القرآنية من الأمور المسلمة عند مشهور مفسري الإمامية والجمهور.

أما الانسجام والتناسب بين سور القرآن فهو محل خلاف، استناداً على الخلاف حول توقيفية ترتيب سور القرآن الكريم بالكيفية الموجودة في المصحف المتداول بين أيدينا، فقال بعض المفسرين بالتناسب بين السور استناداً على القول بتوقيفية ترتيب السور (الطبرسي، 1415هـ، صفحة 43/1)، و (الغرناطي، 1410 هـ - 1990م، صفحة 182)، و (الزركشي ب.، 1957م، صفحة 260/1)، وذهب آخرون إلى عدم وجود المناسبة بين سور القرآن الكريم، وهو رأي مشهور الإمامية وبعض مفسري العامة الذين يرون أن الترتيب إنما هو اجتهاد من الصحابة (السيوطي، 1416هـ - 1996م، صفحة 124/1) و (معرفة، التمهيد في علوم القرآن، 2009م، الصفحات 285/1-287) و (الحيدري، 1427هـ - 2006م، الصفحات 583-584).

المطلب الثالث: التناسب والتناسق بين الآيات والسور، وإشكالية تعدد موضوعات السورة:

تعددت الموضوعات في السورة الواحدة أو الآية الواحدة انسجاماً مع طبيعة القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية، وليس كتاباً تعليمياً، أو تخصصياً في مجال معين، فهو ليس كالمؤلفات البشرية تذكر موضوعاً واحداً وتلتزم به، فقد يُذكر الموضوع في جملة واحدة أو طرف منه في موضوع وأطرافٌ في أخرى مسهباً هنا أو مقتضباً (نجم، التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، 1430هـ - 2009م، الصفحات 114-115).

واستناداً على ذلك حاول بعضهم أن يوجه سهام النقد للنص القرآني بوصفه مشتتاً وغير مترابط لتعدد موضوعاته في السورة الواحدة بل في الآية الواحدة أحياناً، ولكنهم غفلوا عن واقع التناسب بين الآيات وترابط الموضوعات، كما مر سابقاً، وهو بهذا الانسجام والائتلاف والتناسب يُشكل مظهراً من مظاهر الإعجاز القرآني، فهو رغم تعدد موضوعاته في السورة والآية إلا أنه حقق هدفه وأظهر جانب من جوانب إعجازه.

وجاء الرد مفعماً من محمد عبد الله دراز، إذ يقول: "أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً وأوزاعاً من المعاني جمعت عفواً، فإذا هي، لو تدبرت بنية متماسكة، قد بنيت من المقاصد الكلية على أُسسٍ وأصول، وأُقيم على كل أصل منها شُعب وفصول، وأُمتدَّ من كل شعبة منها فروعٌ تقصر أو تطول..." (دراز، 1421هـ - 2000م، صفحة 195).

وإشكالية عدم الانسجام – بحسب رأي أصحابها- تعود إلى طريقة ترتيب سور وآيات القرآن الكريم، واختلاف الألفاظ بين النصوص ذات الموضوع الواحد المتكرر في سور مختلفة، وقد بُحث جواب مستندهم الأول في موضوعة توقيفية الآيات والسور، وبُحث الثاني في التشابه الأسلوبي والذي يقصد به "دراسة أسلوبية للآيات المتشابهة في الألفاظ أو المتقاربة والبحث عن أسباب التكرار والتنوع والتفنن في الآيات المتشابهة انسجاماً مع سياق الآيات والوحدات الموضوعية في السورة". (عبود، 1424هـ - 2003م، صفحة 8).

وهناك من يرى أن هناك عوامل 8داخلية وخارجية ولّدت شبهة عدم الانسجام بين آيات القرآن الكريم، وتتمثل العوامل الداخلية بالطريقة المزجية في بيان مطالب القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية، وليس كتاباً تخصصياً في علم معين، وعدم الالتفات إلى الوصل والحذف في تركيب الجمل، وهذا أحد أساليب البلاغة التي بحثت في التشابه الأسلوبي للنصوص القرآنية، كما أن التدرج في نزول القرآن الكريم، وعدم نزوله دفعة واحدة له أثر في توليد هذه الشبهة.

ومن العوامل الخارجية: الترجمة اللّفظية لآيات القرآن الكريم التي أسـهمت في ضـياع الترابط بين الآيات، وإسـهاب المفسـرين في تفسـير النص القرآني، وجعل القرآن موسـوعة معارف وليس كتاب هداية وعزل الآيات عن القرائن الخارجية المحيطة بها.

ومع كل ما ذُكر فإن " السـورة مهما تعددت قضـاياها فهي كلام واحد يتعلق أوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضـها ببعض في القضـية الواحدة، وأنه لا غنى لمتفهم نظم السـورة عن اسـتيفاء النظر في جميعها" (دراز، 1421هـ - 2000م، صفحة 199).

المطلب الرابع: الأثر التفسيري للانسجام والترابط الداخلي لآيات القرآن الكريم:

يمكن اسـتقراء مجموعة من الآثار التفسـيرية لهذا الأصـل، وقد تكون مدخلية الأثر مباشـرة وقد لا تكون مدخليتها مباشرة، ومن أهم الآثار التي استقراها البحث:

أولاً: الكشف عن مقاصد القرآن والترجيح بين الأقوال التفسيرية:

البحث في الترابط والانسـجام بين الآيات يسـاعد على فهم النص القرآني، من خلال التوصـل لاحتمال تفسـيري قد لا يصل إليه المفسر إلا في ضوء البحث في الترابط والانسجام بين الآيات القرآنية.

وهذا ما أشار إليه الفخر الرازي بقوله: " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط" (الرازي أ.، 1420هـ، صفحة 110/10).

وهو ما سار عليه العلامة الطباطبائي من خلال التفسير بالوحدة الموضوعية، ويرى التفسير بهذه الطريقة منتجاً أكثر من غيره، إذ يقول: "وهذا من عجيب أمر القرآن فإن الآية من آياته لا تكاد تصمت عن الدلالة ولا تعقم عن الانتاج، كلما ضمت آية إلى آية مناسبة أنتجت حقيقة من أبكار الحقائق ثم الآية الثالثة تصدقها وتشهد بها، هذا شأنه وخاصته، وسترى في خلال البيانات في هذا الكتاب نبذا من ذلك، على أن الطريق متروك غير مسـلوك ولو أن المفسـرين سـاروا هذا المسـير لظهر لنا إلى اليوم ينابيع من بحاره العذبة وخزائن من أثقاله النفيسة" (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، صفحة 73/1).

ومن الشواهد على هذا الأثر، ما ذُكر في توجيه قوله تعالى: **(وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ١ وَطُورِ سِينِينَ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ) (سورة التين:1-3).**

فقد ذكر المفسرون عدة آراء في بيان المقصود بالتين والزيتون، فقيل: هما الفاكهة المعروفة، وقيل: التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس، وقيل: هما جبلان في بلاد الشـام، وقيل التين مسـجد نوح الذي بُنِي على الجودي، والزيتون بيت المقدس، وغيرها من الأقوال (الكاشاني، 1423هـ، صفحة 464/7).

بيد أنه عند ملاحظة المناسبة بين التين والزيتون من جانب وبين طور سينين والبلد الأمين من جانب آخر، يترجح الرأي الأخير، فيكون المقصود بالتين مسجد نوح، ولعل سبب التسمية بهذا الاسم لكثرة أشجار التين فيه، والمقصود بالزيتون الجبل الذي بُني عليه المسـجد الأقصـى، ولعل سـبب تسـميته بهذا الاسـم لكثرة أشـجار الزيتون في هذا المكان (عاشـور، 1984 هـ، صـفحة 421/20).

فالمناسبة بين الأماكن المقدسة (طور سينين، والبلد الأمين) والقسم بهما، ناسب أن يترجح الرأي الأخير، فالله سبحانه أقسم بالأماكن المقدسة، والله لا يقسم إلا بما هو عظيم.

وفي بيان المقصـود بقوله تعالى: (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) **(سـورة البلد:3)**، ذكر العلماء عدة أقوال، فقالوا: "الوالد آدم، أو إبراهيم، أو محمد (صلى الله عليه وآله): (وَمَا وَلَدَ) ذرّيته، أو محمد (صلى الله عليه وآله)، أو ذرّيّته الطاهرة" (الكاشاني، 1423هـ، صفحة 434/7).

بيد أن العلامة الطباطبائي رجح القول الذي يرى أن المقصـود بالوالد إبراهيم (عليه السلام) وما ولد إسماعيل (عليه السلام)، استناداً للتناسب والترابط بين الآيات، إذ يقول: " قوله تعالى : (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) لزوم نوع من التناسب والارتباط بين القسم والمقسم عليه يستدعي أن يكون المراد بوالد وما ولد من بينه وبين البلد المقسم به نسبة ظاهرة وينطبق على إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وهما السببان الأصليان لبناء بلدة مكة والبانيان للبيت الحرام" (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، صفحة 290/20).

ثانياً: تأكيد إعجاز النظم القرآني:

للإعجاز القرآني أكثر من وجه، وواحد من تلك الوجوه هو إعجاز القرآن البلاغي من خلال نظامه المتفرد من حيث الصـياغة والسـبك، والصـورة الفنية التي تؤلف خيوط المعنى في قالب منتظم، متناسـب الألفاظ والمعاني، فلولا التناسـب بين الألفاظ لم يكتسب الكلام فصاحته وبلاغته (الجرجاني، 1413هـ - 1992م، صفحة 55).

فبلاغة الكلام وحسنه يكمن " بالتناسب القائم بين أجزائه من مفتتح لطيف وختام منيف ومقاصد شريفة احتضنها الكلام الواحد، وهكذا كان التناسب بين آيات الذكر الحكيم أنيقاً، والترابط بين جمله وتراكيبه وثيقاً" (معرفة، التمهيد في علوم القرآن، 2009م، صفحة 187/5).

وهذا ما أشار إليه الرازي في تفسيره " من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسـب فصـاحة ألفاظه وشـرف معانيه، فهو أيضـاً معجز بحسـب ترتيبه ونظم آياته" (الرازي أ.، 1420هـ، صفحة 106/7).

وهو ما أكده السـيوطي بعد أن بيّن فوائد دراسـة المناسـبة القرآنية، بقوله: " فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصـلا بين كل آية وآية في كل سـورة" (السـيوطي، 1416هـ - 1996م، صفحة 293/2).

فهذا الأثر لا ينعكس على التفسير فحسـب، بل يُثبت إلهية النص القرآني، ووجه إعجازه البلاغي الذي تحدى الله به العرب، ففي إثبات الترابط رداً دامغاً على كل من شكك بمصدرية النص القرآني مستنداً على تفرق وتعدد موضوعاته، فالعقل البشري مهما بلغ لا يمكن أن يرتب الآيات المتفرقة النزول على مدى سـنوات طويلة بهذا النسـق والترتيب (نجم، البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية، 1436هـ - 2015م، صفحة 8).

ثالثاً: الأثر التفسيري في حل الاشكالات التفسيرية:

كثيراً ما تواجه المفسر إشكاليات في توجيه المعنى، فيستعين بمجموعة من القرائن لتوجيه المعنى بالشكل الصحيح، وممّا يُعين المفسر على حل الاشكالات التفسيرية التناسب والترابط بين الآيات في سياق منتظم.

فمثلاً في تفسـير قوله تعالى: **(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِـطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَـآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ) (سـورة النسـاء:3)**، فالنظرة الأولى للآية توحي بعدم وجود ترابط بين صـدر الآية وآخرها، وهي واحدة من الاشـكاليات التي أُثيرت على التناسب والتناسق بين الآيات.

وأفاد بعض الحداثيين من التناسـب بالقول أن التعدد مشـروط بكون المرأة أرملة، بدليل إن سـياق الآية والترابط بين الخوف من ظلم الأيتام والخوف من ضياعهم فكان الأمر بالتعدد لهذا السبب (شحرور، صفحة 599).

ولكن عند مراعاة القرائن الأخرى كأسباب النزول يتضح التناسب والارتباط ويُحل الإشكال، فسبب النزول الأقرب وفق التناسب كما يراه الشيخ الطبرسي: أن الآية نزلت لرفع التحرج من زواج اليتيمات بعد بلوغهن والخوف من ظلمهن وعدم رعاية حقوقهن إن تزوجن بأجنبي (الطبرسي، 1415هـ، صفحة 14/3).

ومن أروع ما ذكر في توجيه الآية وفق التناسب بين صدر الآية وآخرها ما ذكره البلاغي في تفسيره، إذ يقول: "محصل الكلام في الآية هو أنه بعد أن جرى التعرض لأموال اليتامى جرى التعرض ليتامى النساء في المعاملة معهن في ذواتهن بالقسط بمعنى أنكم إذا أحس أحدكم من نفسه انه لا يسمح لمن عنده من يتامى النساء أن يؤتيها ما كتب الله لها من الأموال لئلا تذهب به إلى من يتزوجها وترغبون في أن تتزوجوهن إما رغبة في أموالهن وبقائها في حوزتكم أو رغبة فيهن ولكنكم تتحرجون من التزوج بهن اما لتوهم الحرج في تعدد الزوجات أو في نكاح من ربيت يتيمة عندكم قياساً على الربائب" (البلاغي، 1933، صفحة 7/2).

ومن الإشكالات التفسيرية التي حُلت من خلال التناسب بمساعدة قرينة أسباب النزول، ما جاء في تفسير قوله تعالى: **(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (سورة البقرة:189).**

فلعل سائلاً يسأل ما وجه الترابط بين السؤال عن الأهلة وبين النهي عن إتيان البيوت من ظهورها؛ بيد أنه عند الرجوع لأسباب النزول يتبيّن الارتباط بينهما، فقد روي أنّ الآية نزلت في الحُمس، وسموا حُمساً لتشددهم في دينهم، كانوا لا يدخلون إلى بيوتهم بعد أن يحرموا للحج فكانوا ينقبون خلف الدار نقباً ليدخل لها فنهوا عن فعل ذلك (الطبرسي، 1415هـ، صفحة 27/2).

وقد أجاب الشيخ الطوسي عن إشكالية التناسب بقوله: " فان قيل أي تعلق لقوله: **(وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا)** بسؤال القوم عن الأهلّة؟ قلنا: لأنه لما بين ما فيه من وجه الحكمة، اقتضى لتعلموا على أمور مقدرة، ولتجري أموركم على استقامة فإنما البر أن تطيعوا أمر الله " (الطوسي أ.، 1409هـ، صفحة 142/1).

وممّا تقدم يتبين: إن التناسب بين الآيات من القرائن المهمة في توجيه المعنى وحل الاشكالات التفسيرية، بيد أن دلالته ليست قطعية دائماً، وليس منتجاً دائماً، ففي بعض الأحيان يحتاج لقرائن خارجية وداخلية تعضده ليكون منتجاً دلالياً.

رابعاً: الكشف عن أغراض السور ومقاصدها:

من الآثار المهمة للتناسب والارتباط بين الآيات: الكشف عن أغراض السورة في القرآن الكريم، ومعرفة المحاور الرئيسية لكل سورة وطريقة تعاضد وترابط الموضوعات لتحقيق الهدف المشترك لجميع سور القرآن وهو الهداية.

فلكل سورة قرآنية موضوع ومقاصد تحققه من خلال ترابط موضوعاتها فيما بينها، وكما أن الوحدات الموضوعية للسورة تدور جميعها في محور واحد فكذلك مقاصد السور القرآنية، والتي تشترك جميعها لتحقيق الهدف من نزول القرآن الكريم.

وهذا ما أكده العلامة الطباطبائي بقوله: "فإنّ القرآن على سعته العجيبة في معارفه الأصلية وما يتفرع عليها من الفروع من أخلاق واحكام في العبادات والمعاملات والسياسات والاجتماعيات ووعد ووعيد وقصص وعبر، يرجع جمل بياناتها إلى التوحيد والنبوة والمعاد وفروعاتها، وإلى هداية العباد إلى ما يصلح به أولاهم وعقباهم" (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، صفحة 40/1).

ويرى الشيخ محمد عبدة أن القرآن الكريم نزل من أجل خمسة أمور: التوحيد، الوعد، والوعيد، العبادة التي تُثبّت التوحيد في القلوب، بيان سُبل السعادة والطرق الموصلة لها، قصص من وقف عند حدود الله ومن تعداها ومعرفة سنن الله في البشر (رشيد، 1990م، صفحة 30/1).

ويرى الشيخ جوادي آملي أن معارف القرآن الكريم الأساسية هي: التوحيد، والنبوة، والمعاد، وجميع المعارف الدينية ترجع إلى هذه الحقول الثلاثة التي تُشكل بداية الكون ونهايته والطريق بينهما (آملي، 1365ش، صفحة 41/1).

خامساً: اكتشاف الرؤية القرآنية للموضوعات:

تعددت موضوعات القرآن الكريم تبعاً لهدفه الأساس في هداية الناس، كما تكرر عرض بعض الموضوعات بمناسبات مختلفة بما يتلاءَم مع مضامين كل سورة وسياقات الآيات.

ولمعرفة الرؤية القرآنية لكل موضـــوع لابد من تجاوز النظرة الســـطحية، والغوص في أعماق النص القرآني لإيجاد الروابط بين الآيات التي تناولت الموضوع الواحد، وإعادة ترتيب آيات الموضوع الواحد بوحداتٍ منتظمةٍ ومترابطةٍ (دراسات في تفسير النص القرآني، 2010م، صفحة 189/1).

وهذا الأمر أشار إليه البقاعي بقوله: "إن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل" (البقاعي أ.، ١٩٦٩، صفحة 8/1).

وعُدّ البحث عن الرؤية القرآنية من خلال جمع الآيات ذات الموضـــوع الواحد وتفسـيرها معاً إحدى صـــور التفسـير الموضـــوعي، التي تهدف للحصـــول على الرؤية القرآنية المتكاملة في موضـــوع ما، فمثلاً: عند تفسـير الآيات التي تتحدث عن عالم الغيب لا يمكن الحصول على رؤية قرآنية متكاملة عن علم الغيب إذا فسرنا كل آية بمعزل عن الأخرى، بل قد يؤدي الأمر إلى التعارض بين الآيات.

فنجد بعض الآيات حصرت علم الغيب بالله سبحانه، نحو قوله تعالى: **(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (سورة النمل:65)**، وقوله تعالى: **(وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ)** (سورة الأنعام:59).

وهناك آيات قرآنية لم تقصر علم الغيب على الله سبحانه، نحو قوله تعالى: **(عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا)** (سورة الجن:26-27)، وقوله تعالى: على لسان عيسى (عليه السلام): **(وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** (سورة آل عمران:49).

ولكن عند جمع الآيات الخاصـــة بعلم الغيب على صـــعيد واحد نصـــل لرؤية قرآنية متكاملة، وهي: إنّ علم الغيب أولاً وبالذات من مختصـات الله سـبحانه، وهذا ما أشـارت له الآيات التي حصـرت علم الغيب بالله سـبحانه، بيد أن الله سـبحانه وهب لبعض عباده إمكانية علم الغيب بتعليم منه ســبحانه، وبحدود معينة، وهو ما أشـــارت إليه الآيات القرآنية التي أثبتت إمكانية علم الغيب للأنبياء (الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، 1420هـ - 2009م، صفحة 111/19).

وهذا الأمر ينطبق على موضوع الشفاعة، فما قيل في علم الغيب ينطبق على موضوع الشفاعة (السبحاني، مفاهيم القرآن، 1427هـ، صفحة 22/1)، وهكذا بقية الموضوعات عندما تُفسر من خلال الوحدات الموضوعية للقرآن الكريم.

المطلب الخامس نماذج تطبيقية للأثر التفسيري للانسجام الداخلي والترابط بين الآيات القرآنية

يُعدّ الانسـجام والترابط بين الآيات من المفاتيح المهمة في فهم النص القرآني لما يترتب عليه من أثر في تحديد مراد المولى (عزّ وجل)، وإنّ عدم المعرفة به يترتب عليه ابتعاد عن المراد الإلهي، ونعرض لبعض النماذج التي تندرج ضـــمن حاكمية بعض الآيات على بعضها.

أولاً: الأثر التفسيري لحاكمية الخاص على العام:

ذكرت نماذج كثيرة في بيان العام والخاص واختُلف في صـــدق العموم والخصـــوص على بعضـــها، الأمر الذي انعكس على اختلاف التفســـير وتعدد الأقوال في الآية الواحدة، وفي آيات الأحكام قد يؤدي الاختلاف في العام والخاص إلى اختلاف الحكم الشـــرعي، ومن ذاك اختلاف المفســـرين والفقهاء في حكم الزواج الدائم من الكتابية اســـتناداً على قوله تعالى: **(وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ)** (سورة البقرة: 221).

فيرى بعضـهم أن الآية عامة ولا خصـوص فيها، وعليه يكون التحريم شـاملاً للكتابيات وغيرهن، وهو رأي مشـهور الإمامية (المرتضى، 1415هـــ، صفحة 279)، و (الطوسي م.، 1407هـــ، صفحة 311/4)، و (الحلي، 1412هـــ، الصفحات 72/7-73) ، وممّن ذهب الى هذا الرأي الشـيخ الطوسـي بقوله: "وهذه الآية على عمومها - عندنا - في تحريم مناكحة الكفار، وليست منسوخة ولا مخصوصة" (الطوسي أ.، 1409هـ، صفحة 218/2).

وذهب آخرون إلى أنها منســـوخة بقوله تعالى: **(ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)** (ســـورة المائدة:5)، وذهب آخرون إلى أن الأولى ناسخة للثانية (الهروي، 1418هـ - 1997م، صفحة 84)، و (النحاس، ١٤٠٨ هـ، صفحة 194)، (القرطبي، 1384هـــ - 1964م، صفحة 68/3)، فعلى القول الذي يرى أنها منسوخة يجوز نكاح الكتابية، وعلى القول الي يرى أنها ناسخة لا يجوز الزواج من المشركات مطلقاً، سواء كانت من أهل الكتاب أم من غيرهم.

ودعوى النسـخ لا يمكن قبولها لعدم وجود التنافي بين الآيتين، ولعدم وحدة الموضـوع بينهما ، وهذا ما أشـار إليه السـيد الخوئي بقوله: " الحق: أنّه لا نســخ في شــئ من الآيتين فإن المشــركة التي حرمت الآية الأولى نكاحها ، إن كان المراد منها التي تعبد الأصنام والأوثان - كما هو الظاهر- فإنّ حرمة نكاحها لا تنافي إباحة نكاح الكتابيّة التي دلّت عليها الآية الثانية ، لتكون إحداهما ناسـخة والثانية منسـوخة ، وإنْ كان المراد من المشـركة ما هو أعم من الكتابية - كما توهمه القائلون بالنسـخ - كانت الآية الثانية مخصصـة للآية الأولى ويكون حاصل معنى الآيتين جواز نكاح الكتابية دون المشركة" (الخوئي، 1975م، صفحة 307)، فمن شروط النسخ وحدة الموضوع بين الآيتين وعدم إمكانية الجمع بين الآيتين، وهذان الأمران غير متحققين فلا نسخ.

وذهب آخرون إلى أن الآية مخصـصـةٌ بقوله تعالى: **(وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)** (سورة المائدة:5)، وهذا ما ذهب إليه بعض الإمامية (الخوئي، 1975م، صفحة 307) وجمهور مفسري العامة (الجصاص، 1415هـــ، صفحة 15/2) و (الرازي م.، 1420هـــ، صفحة 411/6) و (الثعالبي، ١٤١٨هـــ، صفحة 446/1)، وعليه لا يشمل التحريم النساء الكتابيات، لأن مفهوم الشرك عام يطلق على كل من يجعل مع الله أحداً، سواء كان من أهل الأوثان أو أهل الكتاب.

وهناك من يرى أنّ أهل الكتاب خارجون عن الحكم تخصـصـاً وليس تخصـيصـاً، أي أن الحكم لا يشـملهم أصـلاً؛ لأنّهم ليسـوا مشـركين، وممّا يؤيد هذا الرأي قوله تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ)** (سورة الْحَجّ: 17)، قوله تعالى: **(لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ)** (سورة الْبَيِّنَة: 1)، فالعطف يقتضـي المغايرة بين أهل الكتاب والمشركين (الرازي م.، 1420هـ، صفحة 409/6).

فعلى كلا القولين تكون الحكومة للخاص؛ لأنّ ظهوره أقوى وأجلى وهو قرينة مبينة لما ورد في العام، أو تكون الحكومة من باب تقديم الخاص على العام في حال تعارض ظهورهما وإن كانت كلا الآيتين بنفس المستوى من الظهور.

فالمفسر أمام مرحلتين: الأولى: تمييز العام من الخاص، والتمييز بين النسخ والتخصيص، والثانية: تقديم الخاص على العام استناداً على الأصل التفسيري حكومة التقابلات الثنائية (الأصول اللفظية) على بعضها.

ثانياً: الأثر التفسيري لحمل المقيد على المطلق:

قد يتوهم بعض ممّن لا إحاطة له بموضـوع الإطلاق والتقييد بجعل ما هو مقيد بالتخصـيص أو الاسـتثناء أو الشـرط، منسـوخاً فيتداخل النسـخ مع غيره، لذا قيل بنسـخ كثير من الآيات بناءً على ذلك، مع أنها لا نسـخ فيها . يُنظر: (زيد، 1987م، الصـفحات 777 - 803)، و (العمري، 1985م، صفحة 523).

ومن الأمثلة التي تُبين أثر حكومة التقييد على الإطلاق قوله تعالى: **(وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** (سورة المجادلة:3).

فقد اختلف الفقهاء في كفارة الظهار بخصوص عتق الرقبة؛ لأنّ لفظ رقبة مطلق فيشمل الرقبة المؤمنة وغيرها.

فذهب الحنفية (الجصاص، 1415هـ، صفحة 568/3)، والحنابلة في أحد أقوالهم (المقدسي، ١٤١٧هـ، صفحة 18/8)، والظاهرية (الأندلسي، ١٤٠٨هـ، صفحة 15/10)، إلى القول بعدم اشتراط الإيمان في الرقبة.

وذهب الإمامية (الحلي، 1412هـ، الصفحات 440/7-441)، المالكية (الجصاص، 1415هـ، صفحة 236/1)، والشافعية (البيهقي، ١٩٩٤ م، صفحة 239/1) ، والحنابلة (المقدسي، ١٤١٧هـ، صفحة 18/8)، إلى اشتراط الإيمان في الرقبة، ولا يجزي تحرير رقبة كافرة، ودليلهم أن الآية ليست مطلقة فهناك ما يقيدها وهو قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (سورة البقرة:267).

قال الشيخ الطوسي (ت460هـ) في تفسير هذه الآية: "وفي الفقهاء من استدل بهذه الآية على أنّ الرقبة الكافرة لا تجزي في الكفارة، وضعفه قوم وقالوا: العتق ليس بانفاق، والأولى أن يكون ذلك صحيحاً؛ لأنّ الانفاق يقع على كل ما يخرج لوجه الله عتقاً كان أو غيره" (الطوسي أ.، 1409هـ، صفحة 344/2)، كما أنّ "الأصل هو عدم جواز تملك الرقبة الكافرة والعتق جزء من التملك" (مدب، 2012، صفحة 358)، فتعدّدت الأقوال في مسألة كفارة الظهار بالنسبة لعتق الرقبة تبعا للإطلاق والتقييد، فمنْ رأى أنّ الآية مطلقة ذهب إلى جواز عتق مطلق الرقبة سواء كانت مؤمنة أو كافرة، ومن رأى أنّ الآية مُقيّدة، اشترط أنْ تكون الرقبة مؤمنة.

وعليه: لابد من التأكد من وجود الإطلاق والتقييد في الآيات قبل مراعاة حكومة المقيد على المطلق فيقدم المقيد لحكومته؛ كونه أجلى ظهوراً وقرينة على المطلق، فيقدم العمل بالتقييد على العمل بالإطلاق.

ثالثاً: الأثر التفسيري لحاكمية المحكم على المتشابه:

يتضح أثر حاكمية الآيات المحكمات على المتشابهات في آيات العقيدة أكثر من غيرها من الآيات ويمكن بيان أثرها في جانبين:

الجانب الأول: أثر عدم مراعاة حاكمية المحكمات على المتشابهات على تعدد الفرق الإسلامية واختلاف المسائل العقائدية:

واحدة من أهم اختلاف مسائل علم الكلام وتعدد الفرق الإسلامية هو عدم مراعاة حاكمية الآيات المحكمات على المتشابهات، فالخوارج أول فرقة كلامية (العاملي، صفحة 43)، كان السبب في نشوئها اعتمادها على آية متشابهة، فتأوّلوا في كلام الله من دون إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، فأنكروا الإمامة استناداً إلى قوله تعالى: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ) (سورة الأنعام:57)، وقالت القدرية بالحرية والتفويض استناداً إلى الآيات المتشابهة التي ظاهرها كون الإرادة بيد الإنسان (الرازي م.، 1415هـ، صفحة 234)، مثل قوله تعالى: (وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ) (سورة الكهف:29)، وقالت الجبرية بالجبر استناداً إلى بعض الآيات المتشابهة التي ظاهرها نسبة الجبر للإنسان (الرازي م.، 1415هـ، صفحة 234)، مثل قوله تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا) (سورة الكهف:23-24).

فالآيات المتشابهة إذن سبب في نشوء علم الكلام وتعدد الفرق؛ لما لها من قابلية على الحمل على أكثر من معنى إذا لم ترجع إلى محكم القرآن، قال العلّامة الطباطبائي: "وأنت إذا تتبعت البدع والأهواء والمذاهب الفاسدة التي انحرف فيها الفرق الإسلامية عن الحق القويم بعد زمن النبي (صلى الله عليه وآله) سواء كان في المعارف أو في الأحكام وجدت أكثر مواردها من اتباع المتشابه والتأويل في الآيات بما لا يرتضيه الله سبحانه، ففرقة تتمسّك من القرآن بآيات للتجسيم، وأخرى للجبر، وأخرى للتفويض، وأخرى لعثرة الأنبياء، وأخرى للتنزيه المحض بنفي الصفات، وأخرى للتشبيه الخالص وزيادة الصفات، إلى غير ذلك، كل ذلك للأخذ بالمتشابه من غير إرجاعه إلى المحكم الحاكم فيه" (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، صفحة 41/3).

الجانب الثاني: أثر حاكمية الآيات المحكمات على المتشابهات في بيان الصفات الخبرية:

عُرّفت الصفات الخبرية بأنها الصفات الإلهية التي أثبتتها الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة، نحو العلو والوجه واليدين إلى غير ذلك، وسميت بالخبرية؛ لأنها وصلتنا عن طريق النقل المتمثل بالقرآن والسنة (السبحاني، محاضرات في الإلهيات، صفحة 131).

وغالباً ما تكون الآيات التي عرضت الصفات الخبرية من المتشابه القرآني الذي يحتمل أكثر من مصداق، فقد تعددت آراء الفرق الكلامية فيها بين إثبات وتأويل، وبين إثبات أحياناً وتأويل أحياناً أخرى، فكثير من الفرق الكلامية الإسلامية أوّلتها على خلاف الظاهر ما خلا المجسمة والحشوية، فقد تعاملوا مع الصفات الخبرية بحسب ظاهر النص من دون تأويل فأثبتوا تلك الصفات لله من قبيل: الاستواء، والوجه، واليد، والعين ... الخ (الشهرستاني، صفحة 105).

ويرى بعضهم أنّ أوّل فرقة ظهرت في الإسلام بمذهب التأويل هي الجهمية، والتي تؤكد على تأويل آيات الصفات كلها (الزنجاني ف.، 1445، الصفحات 55-56)، واشتهر بهذا المذهب الإمامية والمعتزلة، وتباينت آراء الأشاعرة في مسألة تأويل آيات الصفات الخبرية، وتعددت أقوال علمائهم فذهب الأشعري إلى إثبات الصفات؛ ولكن بلا تكييف أو تشبيه، أي له يد ولكن ليست كالأيدي وله وجه ولكن ليس كالوجوه ... إلخ (الأشعري، ١٣٩٧هـ، صفحة 22)، فهو وإن تقدم خطوة على المجسمة والحشوية بعدم تشبيه الخالق بخلقه، إلا أن رأيه بقي في دائرة الإبهام (السبحاني، محاضرات في الإلهيات، صفحة 123).

وذهب بعضهم إلى عدّها من المتشابه الذي اختص الله بعلمه، وفوضوا معرفتها إلى الله سبحانه وهو ما يسمى بمذهب التفويض، جرياً على مقولة الإمام مالك بن أنس (ت:179هـ): عندما سُئِل "عن قول الله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) كيف استوى؟ قال: الكيف مجهول، والاستواء غير معقول والإيمان واجب فالسؤال عنه بدعة" (الثعالبي، ١٤١٨هـ، صفحة 239/4)، وذهب بعض الأشاعرة إلى تأويل آيات الصفات، ومنهم أبو منصور الأسفراييني (ت:429هـ) (الأسفراييني، ١٩٧٧م، صفحة 217)، والباقلاني (ت:434هـ) (الباقلاني، 1421هـ، الصفحات 36-40)، والجويني (ت: 478هـ) (الجويني، 1389هـ، الصفحات 543-570).

ومنهم من ذهب إلى التفويض نظرياً وإلى التأويل تطبيقياً (الاعرجي، 2017، صفحة 421)، أمثال الفخر الرازي (ت:606هـ) الذي يقول - في تقرير مذهب السلف- : "حاصل هذا المذهب أنّ هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأنّ مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى، ولا يجوز الخوض في تفسيرها" (الرازي م.، 1415هـ، صفحة 236)، ولكن خالف ما أورده من حجج على هذا المذهب في تفسيره، فقد لجأ إلى التأويل في بيانه الصفات الخبرية (المغراوي، 1420هـ، صفحة 914).

وكل هذا الاختلاف ما كان ليكون لو أرجعنا الآيات المتشابهات إلى المحكمات نحو قوله تعالى: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) (سورة الشورى:11)، وقوله تعالى: (لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) (سورة الأنعام: 103)، وغيرها من الآيات فهذه الآيات القرآنية حاكمة على الآيات التي ظاهرها يثبت الوجه والرؤية واليد وغيرها من الصفات الأخرى، فمقتضى الجمع بين الآيات المحكمة والمتشابهة يكشف عن الغموض في مصاديق ودلالات آيات الصفات الخبرية بمعونة قرينة العقل التي تفترض أن لو كان لله جسم لكان محدوداً ومحتاجاً وهو الغني المطلق، فلابد من فهم تلك الآيات على غير ظاهرها، وتأوليها بحسب ما تقتضيه محكمات القرآن الكريم.

الخاتمة:

1. إن الترابط بين الآيات والسور ليس أمراً افتراضياً أو تكلّفاً تفسيرياً – كما ذهب إليه بعضهم – بل هو حقيقة يشهد لها التدبر الموضوعي، وتؤيدها جملة من الأدلة القرآنية والروائية والعقلية.
2. للانسجام البنائي والترابط الموضوعي بين آيات القرآن الكريم أثر واضح على التفسير بوصفه قرينة مساعدة على فهم النص القرآني وحل الاشكاليات التفسيرية وترجيح أحد الاحتمالات التفسيرية على غيره استناداً على الانسجام والتناسق بين الآيات، وليس هذا فحسب، ففي إثبات الترابط رداً دامغاً على كل من شكك بمصدرية النص القرآني

مسـتنداً على تفرق وتعدد موضـوعاته، فالعقل البشـري مهما بلغ لا يمكن أن يرتب الآيات المتفرقة النزول على مدى سنوات طويلة بهذا النسق والترتيب.

3. إن للانسجام القرآني صوراً متعددة، تبدأ بالتناسب بين الآيات داخل السورة، وتمتد إلى الوحدة الموضوعية للسورة، ثم تتسع لتشمل الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم بأسره. كما تبين أنّ مراعاة هذا الأصل التفسيري تُسهم في الكشف عن مقاصد السور، والترجيح بين الأقوال، وحل الإشكالات التفسيرية، وإبراز جانب من إعجاز النظم القرآني..

4. إن الإشـكالات المثارة حول تعدد موضـوعات السـورة لا تنفي وحدة بنائها، بل إنّ هذا التعدّد نفسـه يمثّل مظهراً من مظاهر الإعجاز، إذ يجمع بين التنوّع في الطرح والوحدة في الغاية، في سياقٍ محكمٍ لا اختلاف فيه ولا اضطراب.

كما أن اعتماد منهج التفسير القائم على مراعاة الانسجام والترابط بين الآيات يُعدّ من أنجع المناهج في استكشاف الرؤية القرآنية المتكاملة، ويكشف عن عمق النظام البنائي للنص القرآني، ويعزز الثقة بإلهيته وإعجازه.

المصادر

أبو الحسـن إبراهيم بن عمر البقاعي. (١٩٦٩). *نظم الدرر في تناسـب الآيات والسـور*. (1، المحرر) حيدر آباد - الهند: دائرة المعارف العثمانية.

أبو القاسم الخوئي. (1975م). *البيان في تفسير القرآن*. بيروت: دار الزهراء (عليها السلام).

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. (1413هـ - 1992م). *دلائل الإعجاز في علم المعاني* (الإصدار 3). جدة - السعودية: دار المدني.

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي. (1410 هـ - 1990م). *البرهان فى تناسـب سـور القرآن*. الرباط، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي النحاس. (١٤٠٨ هـ). *الناسخ والمنسوخ* (الإصدار 2). (المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، المحرر) الكويت: مكتبة الفلاح.

أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي. (1409هـ). *التبيان في تفسير القرآن* (الإصدار 1). مكتب الإعلام الاسلامي.

أبو عبد الله الزنجاني. (بلا تاريخ). *تاريخ القرآن*. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م). *الكتاب: البرهان في علوم القرآن* (الإصدار 1). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت، لبنان، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصـاري القرطبي. (1384هـ - 1964م). *الجامع لأحكام القرآن* (الإصـدار 2). (تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم إطفيش) القاهرة: دار الكتب المصرية.

أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي. (1418هـ - 1997م). *الناسخ والمنسوخ* (الإصدار 2). الرياض: مكتبه الرشد.

أبو علي الفضـل بن الحسـن الطبرسـي. (1415هـ). *مجمع البيان في تفسـير القرآن* (الإصـدار 1). بيروت – لبنان: مؤسـسـة الأعلمي للمطبوعات.

أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي. (1402هـ -1982م). *سر الفصاحة* (الإصدار 1). بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. (١٩٩٤ م). *أحكام القرآن للشافعي* (الإصدار 2). القاهرة: مكتبة الخانجي.

أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص. (1415هـ). *أحكام القرآن* (الإصدار 1). (عبد السلام محمد علي شاهين، المحرر) بيروت: الناشر: دار الكتب العلمية.

أحمد عبد الله أبوزيد. (2011م). *أطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر* (الإصدار 1). بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

إقبال وافي نجم. (1430هـ - 2009م). *التناسب ودوره في الإعجاز القرآني*. النجف الأشرف: كلية الفقه، جامعة الكوفة.

إقبال وافي نجم. (1436هـ - 2015م). *البعد الترابطي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية* (الإصدار 1). كربلاء المقدسة: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي. (1412هـ). *مختلف الشيعة في أحكام الشريعة* (الإصدار 1). قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي.

السيد حسن مكي العاملي. (بلا تاريخ). *بداية المعرفة*. النجف الأشرف: دار المجتبى.

باحثين. (2010م). *دراسات في تفسير النص القرآني* (الإصدار 2). بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. (1957م). *البرهان في علوم القرآن* (الإصدار 1). بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

جعفر السبحاني. (1427هـ). *مفاهيم القرآن* (الإصدار 4). (جعفر الهادي، المحرر) قم المشرّفة: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

جعفر السبحاني. (بلا تاريخ). *محاضرات في الإلهيات*. قم المقدسة: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام).

جلال الدين السيوطي. (1416هـ - 1996م). *الاتقان في علوم القرآن*. بيروت - لبنان: دار الفكر –.

حميد قاسم هجر. (1436هـ - 2015م). *تحليل الخطاب التفسيري عند المحدثين* (الإصدار 1). الناصرية – العراق: دار أوما.

خضير جعفر. (1420هـ ق - 1378هـ ش). *الشيخ الطوسي مفسراً* (الإصدار 1). قم المشرفة - إيران: المكتب الاعلامي للتبليغات الإسلامية.

خليل خلف العامري. (1439هـ - 2018م). *الدلالة القرآنية في تفسير مجمع البيان* (الإصدار 1). بيروت - لبنان: دار الولاء لصناعة النشر.

د. ستار جبار حمود الاعرجي. (2017). *مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني* (الإصدار 1). كربلاء المقدسة: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية - العتبة العباسية المقدّسة.

د. فاضل مدب. (2012). *وظائف علوم القرآن بين المفسرين والأصوليين* (الإصدار 1). بغداد: بيت الحكمة.

د. مصطفى زيد. (1987م). *النسخ في القرآن الكريم ، دراسة تشريعية تاريخية نقدية* (الإصدار 3). مصر: دار الوفاء.

سعيد حوّى. (1424 هـ). *الأساس في التفسير* (الإصدار 6). القاهرة: دار السلام.

سيد قطب. (1412 هـ). *في ظلال القرآن* (الإصدار 17). بيروت: دار الشروق.

شلتاغ عبود. (1424هـ - 2003م). *أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم* (الإصدار 1). بيروت - لبنان: دار المحجة البيضاء.

عارف هند بجاني غرد. (2013). *علوم القرآن عند الطباطبائي دراسة مقارنة* (الإصدار 1). بيروت – لبنان: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والارشاد.

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. (١٤١٨هـ). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن* (الإصدار 1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي الأسفراييني. (١٩٧٧م). *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية* (الإصدار 2). بيروت: الناشر: دار الآفاق الجديدة.

عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. (١٤١٧هـ). *المغني* (الإصدار 3). الرياض – السعودية: دار عالم الكتب.

عبد الله جوادي آملي. (1365ش). *التفسير الموضوعي للقرآن المجيد*. مركز رجاء الثقافي.

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني. (1389هـ). *الشامل في أصول الدين*. منشأة المعارف بالإسكندرية.

علم الهدى علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى. (1415هـ). *الانتصار*. قم المشرّفة: مؤسسة النشر الإسلامي.

علي الأوسي، دار المحجة البيضاء. (1435هـ - 2014م). *الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان* (الإصدار 1). بيروت - لبنان: دار المحجة البيضاء.

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي. (١٤٠٨هـ). *المُحلَّى بالآثار*. بيروت: دار الكتب العلمية.

علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري. (١٣٩٧هـ). *الإبانة عن أصول الديانة* (الإصدار 1). القاهرة: دار الأنصار.

فتح الله بن شكر الله الكاشاني. (1423هـ). *زبدة التفاسير* (الإصدار 1). قم المشرفة - إيران: مؤسسة المعارف الإسلامية.

فضل الله الزنجاني. (1445). *تاريخ علم الكلام في الإسلام* (الإصدار 3). مشهد المقدسة: 7مجمع البحوث الاسلامية.

كمال الحيدري. (1427هـ - 2006م). *أصول التفسير والتأويل، كمال الحيدري* (الإصدار 2). إيران: دار فرقد للطباعة والنشر.

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور. (1984 هـ). *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: الدار التونسية للنشر.

محمد الغزالي. (1420هـ - 2000م). *نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم* (الإصدار 4). القاهرة: دار الشروق.

محمد باقر المجلسي. (1983م). *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار* (الإصدار 2). بيروت – لبنان: مؤسسة الوفاء.

محمد بن الحسن الطوسي. (1407هـ). *الخلاف*. قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي.

محمد بن الطيب بن محمد ، القاضي الباقلاني. (1421هـ). *الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به*. مكتبة الأزهرية للتراث.

محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني. (بلا تاريخ). *الملل والنحل*. مؤسسة الحلبي.

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني. (1414 هـ). *فتح القدير* (الإصدار 1). دمشق، بيروت: دار ابن كثير.

محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي. (1415هـ). *أساس التقديس في علم الكلام*. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي. (1420هـ). *مفاتيح الغيب* (الإصدار 3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد بن مسعود العياشي. (بلا تاريخ). *تفسير العياشي*. طهران: المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

محمد جواد البلاغي. (1933). *آلاء الرحمن في تفسير القرآن*. بيروت - لبنان: مطبعة العرفان.

محمد حسين الطباطبائي. (1973). *القرآن في الإسلام* (الإصدار 1). (أحمد الحسيني، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد حسين الطباطبائي. (بلا تاريخ). *الميزان في تفسير القرآن*. قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

محمد رشيد. (1990م). *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمد شحرور. (بلا تاريخ). *الكتاب والقرآن*. دمشق – سوريا: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد عبد الرحمن المغراوي. (1420هـ). *المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

محمد عبد الله دراز. (1421هـ - 2000م). *النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن* (الإصدار 2). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

محمد هادي معرفة. (1426هـ - 1384ش). *التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب* (الإصدار 2). مشهد المقدسة - إيران: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية.

محمد هادي معرفة. (2009م). *التمهيد في علوم القرآن* (الإصدار 2). قم المقدسة: منشورات ذوي القربى.

محمود البستاني. (2001). *التفسير البنائي للقرآن الكريم*. مشهد المقدسة، إيران: مجمع البحوث الاسلامية.

محمود حجازي. (1970). *الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم*. القاهرة، مصر: دار الكتب الحديثة.

نادية شريف العمري. (1985م). *النسخ في دراسات الأصوليين (دراسة مقارنة)* (الإصدار 1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ناصر مكارم الشيرازي. (1420هـ - 2009م). *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*. بيروت - لبنان: الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع.

ناصر مكارم الشيرازي. (1426هـ). *نفحات القرآن* (المجلد 1). قم المشرفة، إيران: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

هاشم الحسيني البحراني. (بلا تاريخ). *البرهان في تفسير القرآن*. قم المشرفة: مؤسسة البعثة.